

عنوان المقال:

توظيف العامية في المقالات العمودية للجراند الجزائرية

"الخبر والشروق اليومي نموذجاً"

الأستاذة: بن أكنيو نبيلة - جامعة البليدة 2-

يتفق المحدثون في تعريف العامية على أنها لغة الحديث والتعبير الشفهي لدى العرب مقابل الفصحى لغة القراءة والكتابة بما تقتضيه المشافهة من ألفة وودية وما تقتضيه الكتابة من حواجز ورسميات، مع تسجيل بعض المجالات الشفهية التي تزاخم فيها الفصحى العامية - وهي محدودة جداً - مثل المناسبات الرسمية ومقامات التعليم وما تجاوز موضوعات اللهجة المحلية وينطبق هذا التقسيم في أدوار الفصحى والعامية على جميع الناس العامة منهم والخاصة، يقول محمود الذواودي: "لعل هذه الثنائية اللغوية عامل لا بد من الاستعانة به في تفسير ندرة استعمال الفصحى حتى من طرف الذين ينقنون الحديث بها في الاحتكاكات الاجتماعية اليومية، إذ أن اللجوء إليها يعد خرقاً للمعايير اللغوية المستعملة في تيارات الحياة الاجتماعية العامة في المجتمعات العربية".¹

وبهذا فإن هوية المكتوب في اللغة العربية تتجلى في ارتباطه بالفصحى على أوسع نطاق، يقول نهاد الموسى: "إن العنصر الأول في ضبط هذا التوزيع الوظيفي يتمثل في ملاحظة مظهر لغوي خالص مظهر الكتابة أو مظهر المشافهة، ذلك أن وظائف الكتابة - على الجملة - مواقع خالصة للفصحى سواء أكان النشاط اللغوي خاصاً (كما في الرسائل الشخصية) أم عاماً (كما في الصحافة)، سوقياً (كما في الإعلان) أم علمياً (كما في التأليف)".²

ومن هذا المنطلق أثار توظيف العامية في بعض الأعمال الأدبية زوبعة قوية من الانتقادات، ودارت نقاشات حادة بين المؤيدين والمعارضين، فبرزت نتيجة لذلك محاولات التقريب بين الفصحى والعامية فيما يسمى باللغة الثالثة، وقد وجدت العامية في القصة والرواية والمسرح مؤيدين لها بحجج مازالت تفرض نفسها إلى اليوم، فقد أسهب محمود تيمور في تبرير دخول العامية إلى العمل الأدبي وإلى المسرح خاصة بحجة أن الأديب المصور للحياة الاجتماعية يشقى في التوفيق بين مطالب الدقة و التزام الفصيح لأنه: "يرى أشتاتاً من الكلمات العامية أقدر على إظهار الجو

وتجلية الروح وتحرير الرصف وتبيين الحوار، وإذا هو تنكب عن هذه الكلمات إلى بدليها من كلمات الفصحى خرجت صوره التي يرسمها للشخصيات والأحداث في بعض الأحيان عليها مسحة من شحوب تفتقر فيها خفقة الحياةⁱⁱⁱ، كما نجد أيضا من المؤيدين لاستعمال العامية في هذه الأعمال الأدبية من يرجع السبب إلى أن ما يدخل منها في الرواية لا يكون في النص " وإنما من خلال الحوار إذا كان الموضوع غير مستمد من التاريخ بل من الحياة الشعبية المعاصرة... الحوار الذي لا يكون له تأثير يذكر إلا إذا كان قريبا من الواقع الذي يعبر عنه^{iv}، وإذا كان هذا المبرر يتعلّق ببعض أجزاء القصة والرواية فإنه في المسرحية يتعلّق بها ككل لأنها مبنية على الحوار.

وهناك مجال آخر من مجالات المكتوب وهو الصحافة، هذه الوسيلة التي بلغت باللغة العربية شوطا مهما من التطور والتجديد وأحرزت لنفسها مكانا في حياة المواطن العربي، في هذا المجال يبدو أن توظيف العامية يفتقد إلى الكثير من المبررات السابقة لذلك يعتبره كثير من الباحثين مظهرا سلبيا، إذ يرى محمد صالح الجابري أن هذه " النزعات الطارئة بدأت تنتشر في بعض الوسائل الإعلامية السمعية منها والسمعية البصرية وكذلك المكتوبة وفيها ميل واضح إلى تغييب اللغة العربية الفصحى، والتوسل باللهجات استندارا لعطف جماهيري رخيص ومغلوط في الآن نفسه أو جريا وراء الكسب والإشهار العاجل^v، ولا ينحصر الإعلام المكتوب اليوم في الجرائد بل أصبحت تنازعه مواقع أخرى على شاشات التلفزيون فهي تعتمد العامية المكتوبة، ويشير نهاد الموسى إلى " حواشي بعض القنوات الفضائية والإعلانات التجارية^{vi}، كما انتشر الآن نوع آخر من القنوات التي لا تخصص الحواشي فقط بل كل المساحة لتعرض فيها رسائل القراء الالكترونية والرد عليها بعاميات لا يفهم منها - أحيانا - شيئا، ويمكن أن نضيف إلى التلفزة الانترنت بمواقعها وصفحاتها الملأى بكل أشكال العامية، ويرجع توظيف العامية في هذه الوسائل الإعلامية إلى توجهها المقصود إلى كل ما هو لهو و " غلبة الترفيهيّة على كثير منها^{vii}، أما فيما يخص الإعلان التجاري الذي أصبح يمثل الجزء الأكبر من الصحف ويعول عليه في كسب الإيرادات، فليس غريبا أن يكون بالعاميّة أو تتفاوت في " لغته نسبة التعبير بالفصحى حيناً والتعبير بالعاميّة حيناً آخر وقد يتداخل التعبير الفصيح بالعامي في الإعلان الواحد أو في جزء من الإعلان^{viii} مادام يرتبط بتسويق السلعة التجارية والتأثير في المتلقي، بل أن رياض زكي قاسم لاحظ أن الإعلانات المبوبة ذات الطابع الرسمي (الأحكام القضائية، إعلانات

الأدلة، التعليمات والتبليغات الرسمية... الخ) ورغم احتكار اللغة الفصحى لها في الصحف اللبنانية قد تتغير لغتها بحسب رغبة المعلن فهناك من يرى أن الإعلان بالعامية أقرب إلى أذواق الناس، وهي تستميلهم بسرعة وتتجاوب مع سلوكهم اللغوي والنفسي^{ix}. ويعرف دخول العامية إلى الصحف الجزائرية بروزاً واضحاً في مختلف الصحف اعتبره عز الدين ميهوبي "استخداماً مفرطاً للغة الثالثة المهجنة بين لغة محكمة بقواعد ودرجة مشكلة من مزيج ثقافات وهو يمثل في رأيه إحدى مراحل هبوط الخطاب الإعلامي في شقه اللغوي"^x، ولعل مقارنة بسيطة بين الصحف الجزائرية تبين أن الأسبوعية منها هي التي تطغى فيها هذه اللغة المهجنة عكس اليومية التي تعرف حرصاً أكبر على توظيف الفصحى، كما أن الأسبوعية تختلف بين السياسية والاقتصادية والرياضية والفنية والشاملة وقد قام عز الدين ميهوبي بقياس مستويات الخطاب في خمس من هذه الأسبوعيات ووجد أن الرياضية والفنية هي الأكثر استعمالاً لها، يقول: "صار من الصعب تصنيف الأسبوعية الرياضية فهي تلجأ إلى استخدام كل العناوين بالعربية الدارجة التي توظف الحرفين العربي اللاتيني ولا يفهمها إلا هواة الجدل المنفوخ كما يقولون وتتشابه معها الأسبوعيات الفنية الموجهة خاصة إلى فئة المراهقين من الشباب إذ أن الإثارة فيها دفعت القائمين عليها إلى توظيف لغة لا يفهمها إلا من نشأ في تلك البيئة... أما الأسبوعية الشاملة فإثباتها تحاول احترام اللغة في بعض المقالات، بينما تغض الطرف عن تفسير اللغة في مقالات أخرى وهي مسألة مرتبطة أيضاً بتنوع الأذواق كما يقولون في تبرير هذا"^{xi}.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك فرقاً أساسياً بين وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة في توظيفها للعامية باعتبار الأولى والثانية - في مواضع كثيرة - تنقل الكلام المحكي كما هو أو تقدم أعمالاً تلفزيونية فنية مقتبسة من القصص والروايات مثل المسلسلات والأفلام، بينما الإعلام المكتوب يعيد صياغة الأفكار ويستطيع التحكم في المستويات اللغوية أكثر لكن هناك ميزتان تجعلان الإعلان الإعلام بكل وسائله يلجأ إلى توظيف العامية.

أولاً: الجانب الإشهاري الذي يبحث عن تسويق السلعة وسط أغلب أفراد المجتمع وبالتالي يخاطبهم باللغة التي يتخاطبون بها ويتأثرون لسماعها ولا يهتمهم صفاؤها أو جودتها، بل أن الصعوبات المالية والإغراءات المادية تدفع الصحافة باللغة العربية إلى الإقبال على نشر الإعلانات حتى باللغة

الأجنبية " فمن بين ما يسجل عليها أن أي نسخة تقريبا لا تسلم من احتوائها على إعلانات باللغة الأجنبية بهدف الربح وخاصة في صحف محسوبة على أنها تخدم اللغة العربية أو يفترض فيها ذلك ^{xiii} .

ثانيا: توجيه رسالتها إلى كل شرائح المجتمع لأنها " تخاطب الجماهير العريضة والمستويات الثقافية المتباينة، وتؤثر فيها تأثيرا نافذا وحجتها في هذا الصنيع أنها إنما تجاهد في إرضاء كل الأذواق، وخاصة الذوق الشائع وهو ليس خير الأذواق بطبيعة الحال ^{xiiii} .

والمعروف أن الصحافة المكتوبة تعتمد أساسا على مجموعة من القوالب يعتبر كل منها فنا قائما بذاته كالتحقيق والحوار والخبر والمقال الصحفي بأنواعه المختلفة، وهي الفنون التي تحافظ على المستوى الفصيح للغة تماشيا مع طبيعة المواضيع التي تعالجها والأهداف المسطرة لها، وقد لاحظنا أن أغلب الدراسات التي اهتمت بلغتها انطلقت من اعتبار لغة الصحافة هي الفصحى وبالتالي كان محور القضايا التي تطرح حولها داخل الفصحى نفسها مثل الأخطاء اللغوية وخصائص الأسلوب، أما الدراسات المتعلقة بالعامية فارتبطت غالبا بالصحافة المنطوقة وليس المكتوبة، لكن من خلال تعاملنا الدائم مع الجرائد الجزائرية المكتوبة بالعربية لاحظنا أن هناك فنونا صحافية تحتوي على نسبة مهمة من العامية ومنها فن المقال العمودي ^{xiv}، وهو من المقالات التي تجلب الكثير من القراء ويكتبها كبار الصحفيين لذا كنا نفترض أن العامية فيها غائبة إلا ما يدخل في إطار الموروث كالأمثال والحكم التي يعتبرها المنظرون جزءا من العمود، لكن لما صادفتنا في العديد من المرات أشكال عديدة من العامية الموظفة في هذه الأعمدة تساءلنا عن مدى توظيف كتاب الأعمدة لها وعن طبيعة هذه العامية أو أنواع العامي فهل تقتصر مثلا على كلمات معينة تنتمي إلى مجال محدود أم تتسع إلى ما هو أكثر ؟

لدراسة هذا الموضوع اخترنا جريدين عربيتين متداولتين بين الجزائريين وهما: يومية الخبر ويومية الشروق ونتبعنا كل المقالات العمودية المنشورة بهما في السنة أشهر الأخيرة لسنة 2008، فكانت كالآتي:

بلغ عدد أعمدة الخبر ككل 178 عمود نشرت بصفة يومية منتظمة وفي مكان ثابت وتمثلت في عمود " مجرد رأي " الذي شمل 149 مقالا لكتاب مختلفين وعمود "نقطة نظام" الذي شمل 29 مقالا لصاحبه سعد بوعقبة.

بلغ عدد أعمدة الشروق اليومي 193 عمودا تمثلت في عمود " كلام قوارير " لكاتبته " أم طه " و شمل 103 مقالا، وعمود " مساحة حرة " لكتاب مختلفين وشمل 43 مقالا وعمود " خيوط " لصاحبه " عبد الرزاق بوكبة " وشمل 14 مقالا وعمودان خاصان بشهر رمضان هما " حمار الحكيم في الجزائر " لكاتبه " أنابيس " وشمل 19 مقالا وعمود " شعبان في رمضان " الذي بلغ عدد مقالاته 14 مقالا لكاتبه " عمار يزلي " .

والملاحظ أن هذا الفن اختلف اختلافا كبيرا بين الجريدتين فالشروق اليومي تضمنت أنواعا متعددة مقارنة بالخبر، كما أنها لم تحترم المميزات الشكلية للعمود - إلى حد كبير - وخاصة الانتظام في الزمان والمكان فكانت أحيانا متقاربة وفي أخرى متباعدة لا يحكمها أي تنظيم والأمر نفسه بالنسبة للمكان.

بعد جردنا للعامة الموجودة في كل الأعمدة لاحظنا أن أشكالها متنوعة فصنفناها إلى أنواع حسب مجال التغير الذي طرأ عليها إن كانت ذات أصول عربية إضافة إلى الكلمات الدخيلة، وكان التصنيف الذي ارتأيناه يهدف إلى إبراز مواطن الاختلاف بين الكلمات والتراكيب والأساليب العامة ومقابلاتها الفصيحة فكانت الأصناف كالآتي:

1 _ الكلمات التي طرأت عليها تغيرات صوتية:

ومن مظاهر التغير الصوتي مد الأصوات مثل ما نتلاقش بيه وهدرت معاها والأصل به ومعها (كلام قوارير، العدد: 2466) والحذف نحو عشا والأصل عشاء (شعبان في رمضان العدد: 2398) والإبدال نحو وذنين والأصل أدنين (عمود شعبان في رمضان العدد 2407) .

2 _ الأفعال التي طرأت عليها تغير صوتي تصريفي:

ونقصد بالتغير - الصوتي - التصريف ذلك التغير الصوتي الذي يدخل على الأفعال فيغير الأصوات الدالة على تصريف الفعل وبالتالي يكون تغيراً في الصوت والتصريف في الآن نفسه، ومن أمثلته في المدونة ظاهرة المد في

تصريف الفعل الأجوف في صيغة الأمر مع المخاطب المفرد مثل:
عيش تشوف والأصل عش (حمار الحكيم في الجزائر، العدد 2397)،
 وإبدال الهمزة نونا في تصريف الفعل المضارع مع ضمير المتكلم المفرد
 مثل: حبّيت تركب والأصل أركب (حمار الحكيم في الجزائر، العدد
 2393)، وكذلك مد حركة الحرف الأخير من الفعل المضارع المصروف مع
 ضمير المتكلم للجماعة مثل نموتو مقلقين والأصل نموت (حمار الحكيم في
 الجزائر، العدد: 2392).

3_ الكلمات التي طرأ عليها تغير دلالي:

نقصد بها كل كلمة صحيحة مستعملة في الفصحى ولكن معناها تغير في
 العامية وفق إحدى طرق التغير الدلالي المعروفة وهي
 "التخصيص والتعميم وتغير مجال استعمال الكلمة" ^{xv}، ومن أمثلة هذا النوع
 في المدونة كلمة يشطح (كلام قوارير العدد: 2363) التي من معانيها
 في العامية يرقص كما جاء في هذا السياق (مغن يشطح)، ولكن في
 الفصحى شطح في السير أو في القول تباعد واسترسل (الوسيط ص: 482)،
 وكذلك كلمة شطارة (كلام قوارير، العدد: 381) التي تعني في العامية حسن
 التصرف والمهارة، لكن في الفصحى شطر الرجل على قومه شطورا
 وشطارة أعياء قومه شرا وخبثا وعن القوم نزح عنهم مغاضبا... الخ
 (الوسيط، ص: 482).

4_ الكلمات التي طرأ على صيغتها الصرفية تغير :

ونقصد بهذا النوع كل التغيرات التي دخلت أوزان أو صيغ الكلمات وجعلتها
 مخالفة لأصلها مثل كلمتي الخلّاط (مجرد رأي، العدد: 5489) والخلوطة
 (مجرد رأي العدد: 5436) اللتين اشتقتهما العامة من الفعل خلط ولا نجدهما
 في الفصحى، وكذلك صيغ الجمع الخاصة بالعامية: شئوخه والأصل شيوخ
 (حمار الحكيم في الجزائر العدد: 2392) أو أوزان المصادر ثراكها
 والأصل ترْكُها (شعبان في رمضان العدد: 2412).

5_ الكلمات التي طرأ عليها تغيران أو أكثر:

ونقصد بها الكلمات التي تحمل تغيرات متعددة على مستويات مختلفة،
 كأن تحمل تغيراً على المستوى الدلالي وآخر على مستوى الصيغة الصرفية
 مثل كلمة الغاشي (مجرد رأي، العدد: 5414) التي أصلها الغاشية

وهي السؤال يأتونك مستجدين والزوار والأصدقاء ينتابونك (الوسيط ص: 653) أما في العامية فعممت الدلالة لتعني الجماعة من الناس الكثيرة العدد، وأيضاً كلمة الحرافة (مساحة حرة، العدد 2359) التي اشتقت من الفعل حرق لتطلق على المهاجرين غير الشرعيين في صيغة لها في الفصحى دلالة مختلفة لأنها صيغة مبالغ فيها في العامية في هذه الكلمة فهي تدل على الجمع، يضاف إلى هذين التغيرين التغير الصوتي الذي يظهر في الكتابة أحياناً وهو إبدال القاف جيماً مجهورة فتكتب الحرافة (مجرد رأي العدد: 5364)، ومن هذا النوع أيضاً الأفعال التي تحمل تغيرين أحدهما صوتي والآخر صوتي تصريفي مثل كلمة نجيبها والأصل أجيء بها (شعبان في رمضان، العدد: 2396) فقد أبدلت فيها الهمزة الدالة على المتكلم المفرد نونا وحذفت الهمزة في آخر الفعل.

6_ الكلمات التي لم نجد لها أصلاً:

هناك مجموعة من الكلمات التي لا وجود لها إلا في العامية رغم أن حروفها عربية فيصعب الحكم عليها إن كانت انحرفت كثيراً عن الفصحى حتى فقدت صلتها بها أو أن العامة تواضعوا عليها فهي من إبداعهم، أو أن أصلها أجنبي ضارب في القدم ومنها كلمات مطابىس أي منحَن (نقطة نظام، العدد: 5387) وكلمة بوزلوف (مجرد رأي العدد: 5361).

7_ الكلمات التي لها علاقة بالجذر الفصيحي :

ونقصد بها الكلمات التي أخذتها العامة من الفصحى لكن غيرت فيها كثيراً من حيث الصياغة أو الدلالة أو فيهما معاً وقد نجد لها مرادفاً فصيحاً معروفاً، ولاحظنا أن هذا النوع من الكلمات هو الذي يحاول الباحثون إثبات فصاحته فتختلف تأويلاتهم فيه كما أن عدداً كبيراً من هذه الكلمات لم نجد لها ذكراً في مراجع بحثنا فأولناها حسب ما رأيناه من علاقة بينها وبين الجذر الفصيحي ومن هذا الصنف كلمة الصباط (شعبان في رمضان، العدد: 2396) التي وجدنا أغلب الباحثين يرجعون أصلها إلى السبت وهو جنود البقر المدبوعة بالقرط ومنها النعال السبتية^{xvi}، وكذلك كلمة شيباتي (شعبان في رمضان، العدد: 2408) التي تعني في الغرب الجزائري الشيخ ورأينا أنها مشتقة من الشيب لأن الشيوخوخة _ في الغالب _ ترتبط ببروز الشيب .

8_ الكلمات الدخيلة:

نقصد بها الكلمات الدخيلة من اللغات الأجنبية والتي تستعمل في العامية بصفة خاصة لأنّ هناك الدخيل في اللغة العربية الفصحى وهو محدّد ومقتن - إلى حدّ ما - وهناك الدخيل في العامية وهو كثير وله مقابله العربي أو ذو الأصول العربية ومنه في المدونة تاكسي فون وببيرون من اللغة الفرنسية (نقطة نظام، العدد: 5385) .

9_ الدخيل الممتزج بالعربية:

ونقصد به الكلمات الدخيلة التي وضعت في قالب عامي أو أضيفت إليها إحدى خصائص العامية (الصرفية أو التركيبية) _ ولو كانت هذه الخاصية موجودة في اللغة العربية الفصحى _ لأن العامية حافظت على العديد منها _ ومن أمثلة هذا الصنف في المدونة إضافة ألف ولام التعريف في كلمة السيستم (مجرد رأي، العدد 5419)، وجمع الاسم الأجنبي على صيغة خاصة بالعامية مثل: لواط جمع loto (شعبان في رمضان، العدد: 2398) .

10_ الكلمات المنحوتة :

من أهم هذه الكلمات أدوات الاستفهام وقد توسّعت العامية في نحتها من عبارات معيّنة يسهل تأويلها أحياناً ويصعب أحياناً أخرى وصاغتها وفق طريقة خاصة أصبحت تميز بين العامية والفصحى من جهة وبين العاميات من جهة أخرى، منها على سبيل المثال في مدونتنا كلمة أغلاش الجزائرية (مجرد رأي، العدد: 5361) وكلمة ليه المصرية (حمار الحكيم في الجزائر، العدد: 2396) اللتين تقابلان أداة الاستفهام الفصيحة لماذا.

11_ العبارات المتكوّنة من كلمات فصيحة ولها استعمال خاص بالعامية:

نقصد بها الأساليب العامية التي تعتمد على كلمات عربية فصيحة ولكن مصاغة وفق طريقة خاصة لتحمل معاني تعبر عنها الفصحى بطريقة مختلفة وهذه الأساليب هي التي اعتبرها الطيب البكوش من المقاييس التي تفصل بين العامية والفصحى وسماها المقياس التعبيري قائلاً: " النظام التعبيري يمكن أن نعتبره في أي لغة من اللغات من أهم الظواهر اللسانية

المميزة لكل لغة، ذلك أن النظام التعبيري من أكثر النظم اللغوية التصاقا بالحياة الاجتماعية لكل طائفة لغوية... والنظام التعبيري متنوع جدا وله في اللغات الأوروبية تسميات عديدة لكننا لا نجد في اللغة العربية إلا تسميات تقريبية لا تشمل إلا جزءا من النظام التعبيري كالأمثال والحكم وقد استحدثت العربية العصرية تسميات أخرى مثل العبارات الجاهزة أو الجامعة أو الاصطلاحية^{xviii}، ومن أمثلتها في مدونتنا عبارة " من تحت تحت" (شعبان في رمضان، العدد 2407) و" الخبزة في اللعب"(مجرد رأي، العدد: 5372) فكل كلمة في هاتين العبارتين عربية فصيحة ولكن تركيبها ودلالاتها خاصان بالعامية.

12_ العامية على مستوى القواعد الصرفية والتركيبية :

وضعنا ضمن هذا الصنف الجمل التي برزت فيها القواعد الصرفية والتركيبية الخاصة بالعامية مثل نفي الجمل الفعلية بحرف "ما" في أول الجملة وحرف الشين في آخرها نحو: مادرتش العرس (كلام قوارير، العدد: 2349)، والتثنية باستعمال كلمة زوج بدل علامة التثنية المعروفة في الفصحى نحو زوج دؤارة (عمود خيوط العدد: 2472).

و لاحظنا من خلال جداول الإحصاء أن العامية وظفت في كل الأعمدة في كلتا الجريدتين بنسب متقاربة باستثناء عمودين، حيث اقترب عدد المقالات التي وظفت فيها إلى نصف العدد ففي الخبر بلغت نسبتها 62.06% بالنسبة لعمود نقطة نظام و 48.99% بالنسبة لمجرد رأي، أما في الشروق فبلغت نسبة المقالات التي احتوت على العامي 32.03% بالنسبة لعمود كلام قوارير و 39.53% بالنسبة لمساحة حرة و 57.14% بالنسبة لخيوط، وشكل عمودا حمار الحكيم في الجزائر وشعبان في رمضان استثناء حيث لم يخل أي مقال منهما من العامي وجاء مزيجا بين العامية والفصحى، وهذا راجع لطابعهما المختلف عن كل الأعمدة الأخرى فبالنسبة قصصي هزلي .

وانعكس هذا الفرق بين الأعمدة على معدل توظيف العامي فيها، ففي مجرد رأي وكلام قوارير ومساحة حرة كان المعدل حوالي ثلاثة مظاهر عامية في كل مقال، وفي نقطة نظام حوالي أربعة مظاهر وفي خيوط حوالي ستة، أما في عمودي حمار الحكيم وشعبان في رمضان فبلغ ما يقرب من 26 مظهرا من مظاهر العامية في كل مقال.

وهناك فرق واضح بين العامية الموظفة في عمودي الخبر وتلك الموظفة في أعمدة الشروق اليومي، إذ تنزع الأولى إلى ما هو مشترك ومعروف عند الجزائريين ككل، لذا لا نلاحظ تنوعا في اللهجات ولا أثرا لعامية أخرى غير العامية الجزائرية بينما يظهر في الشروق تنوع كبير تمثل في :

أ_ العامية المصرية:

وظهرت في عمود حمار الحكيم في الجزائر فقد جاءت مقالاته في شكل حوارات افتراضية بين حمار الحكيم الشخصية المقتبسة من كتاب توفيق الحكيم "حماري قال لي" وكتب المقال الذي وظف العامية بقوة في مضمون الحوار بصفة خاصة، واختار لشخصية الحمار عاميته المحلية باعتباره شخصية مصرية فبرزت العامية المصرية أكثر من العامية الجزائرية الموظفة حيث جاءت مظاهر الأولى بتنوعاتها 366 مرة مقابل 121 مرة بالنسبة للثانية.

ولم يقتصر توظيف العامية المصرية على هذا العمود بل استعملت في الأعمدة الأخرى في شكل أقوال مأثورة أو كلمات ففي عمود كلام قوارير ورد فعل بنوكلوا في جملة "نقول بنوكلوا عليكم ربّي" (العدد: 2365)، وكلمة عفش في جملة "تحمل أمها التي تزورها في اليوم الموالي أي عفش" (العدد: 2420)، وكلمة غلابي في جملة: المواطن " الغلابي " (العدد: 2453) وكلمة نصاب (العدد 2483) وما ورد في العمود نفسه في العدد 2434 حيث استعملت الكاتبة الآتي: هناك مثل مصري يقول: (يا فرعون مين فرعنك؟ قال: ما لقيتش حد يلمني) أما في عمود مساحة حرة فورد القول المأثور "حاميه حراميه" (العدد: 2447) وكلمة بهدة في جملة "عرفوا صاحب هذه البهدة" (العدد 2487).

بالإضافة إلى العامية المصرية وظفت عامية أخرى من عاميات المشرق العربي وهي العامية اللبنانية من خلال مقطع من أغنية للمطربة فيروز وهو " شايف الحياة شو بعيدة؟ بعد الحياة بحبك. شايف الموت شو سهل؟ في سهولة الموت بحبك (عمود خيوط العدد: 2448).

ب _ عامية الغرب الجزائري:

ظهرت في مقالات عمود شعبان في رمضان عامية مختلفة عن تلك المستعملة في باقي الأعمدة حيث لم نفهم الكثير منها إلا بالعودة إلى الناطقين بها ولكن يمكن للجزائري إلى حد ما أن يميزها ويدرك أنها من العامية المستعملة في الغرب الجزائري وذلك من خلال كلمات وأساليب معروفة مثل: شفت الماكلة كي دايرة? ... شفت المواعين كي دايرين? الفراشط ... الخداما? (العدد 2399) و... ما عندهش الودنين (العدد: 2407) شيباني ويلعب بسرول عند الركبة ... هاو حتى الهدرة ممنوعة ببلادكم؟ (العدد: 2408) .. (حوجي!.. هذاك ماتيفي!) (العدد 2409).

ت _ عامية الشرق الجزائري:

ظهرت في عمود خيوط عامية الشرق الجزائري من خلال مجموعة من الكلمات مثل: القليع: وهي عملية نسج الزرابي بالطريقة التقليدية، قردشتها (الصوف) وهي مرحلة من مراحل تحضير الصوف، يزيلة: وهي مشط حديدي يستعمل في عملية النسيج (العدد: 2482)، الزوادات جمع زوادة: وهي وعاء من القماش يستعمل لوضع الأغراض (العدد: 2454).

ويعكس ظهور العاميات المحلية في الأعمدة ذاتية كتابها لأن عمار يزلي كاتب حمار الحكيم من الغرب الجزائري وعبد الرزاق بوكبة كاتب عمود خيوط من الشرق الجزائري وهما أدريان بالدرجة الأولى وليس صحفيين.

وينعكس الفرق الكبير في توظيف أنواع العاميات بين عمودي الخبر وأعمدة الشروق على أصناف العامي ويمكن إجمال هذه الفروق كالآتي:

_ جاءت أصناف العامي في الشروق متنوعة إلى درجة كبيرة وعلى كل المستويات بينما ظهرت في الخبر أصناف محددة وقليلة.

_ كان للطابع القصصي والحواري الذي ميز عمودي حمار الحكيم وشعبان في رمضان تأثيره في بروز ثلاثة أصناف هي "الأفعال التي طرأ عليها تغير صوتي تصريفي" و"العامية على مستوى القواعد الصرفية والنحوية" و"الكلمات المنحوتة" فبالنسبة للصنف الأول شكل نسبة 5.27 % من مجوع العامي الموظف في عمود شعبان في رمضان، فيما لم يتجاوز نسبة 1 % إلا بقليل في عمودي كلام قوارير وحمار الحكيم، ولم يبد له أثر في عمودي

الخبر و باقي الأعمدة في الشروق وبالنسبة للصنف الثاني شكل نسبة 14.72 % مما وظف في عمود شعبان في رمضان و 20.94 % في حمار الحكيم، أما الكلمات المنحوتة فبلغت نسبتها 6.98 % في حمار الحكيم و 3.33 % في شعبان في رمضان، وغابت في الأعمدة الأخرى أو ظهرت بنسبة قليلة.

_ ظهر الفرق بين الخبر والشروق في توظيف العامية على مستوى القواعد الصرفية والنحوية في باقي الأعمدة ذات الطابع المتشابه وليس العمودين السابقين فقط، إذ وصلت نسبتها في عمود كلام قوارير إلى 12.3 % وفي خيوط إلى 8.99 % وفي مساحة حرة إلى 4.25 %، بينما لم تتجاوز في الخبر في عمود مجرد رأي 3.77 % وغابت في نقطة نظام.

_ تميزت العامية الموظفة في عمودي الخبر بطغيان الدخيل بصنفيه الدخيل الذي أخذ من اللغات الأجنبية كما هو والدخيل الممزوج بالعامية من خلال إحدى خصائصها، فقد بلغت نسبتها معاً 38.1 % في عمود مجرد رأي و 67.74 % في عمود نقطة نظام وهما نسبتان بعيدتان عن النسب المسجلة للدخيل في أعمدة الشروق خاصة عمودي شعبان في رمضان وحمار الحكيم اللذين احتويا على أقل النسب بين كل الأعمدة وهي 7.49 % و 6.56 % على التوالي.

والملاحظ أن الدخيل في عمود مجرد رأي تميز بالتنوع بينما غلبت عليه في عمود نقطة نظام المختصرات الدالة على أسماء الأحزاب والتنظيمات السياسية الجزائرية مثل : الأرسيدي، الأفالان، القيس، الجيا، الأرندي... الخ وهي تكاد تشكل في الخبر نوعاً قائماً بذاته.

ومن أهم ما يمكن ملاحظته كنقطة مشتركة بين العامية الموظفة في الجريدتين هي تلك الأصناف التي سجلت حضورها في كل الأعمدة وشكلت النسبة الأكبر مما وظف وتميزت بكونها من المستوى الإفرادي وهي:

أ_ الدخيل: حضر الدخيل بقوة في كل الأعمدة ورغم أن نسبته في الخبر طغت وجاءت عالية إلا أنها في أعمدة الشروق مهمة أيضاً فقد جاءت في المرتبة الأولى في أعمدة خيوط ومساحة حرة وكلام قوارير بنسبة 32.5 % و 19.57 % و 19.57 % على التوالي، ونسبة أقل في عمودي شعبان في رمضان وحمار الحكيم ب 7.49 % و 6.56 %.

وإذا وضعنا الدخيل والعامية على مستوى القواعد الصرفية جانباً وقارناً بين الأصناف الباقية وجدنا الغالب منها:

ب_ الكلمات التي طرأت عليها تغيرات صوتية: سُجِّلَتْ في ستة أعمدة في المرتبة الأولى بنسب تتجاوز 17 %.

ت_ الكلمات التي طرأ عليها تغير دلالي: سُجِّلَتْ في أربع أعمدة في المرتبة الثانية بنسب تجاوزت 17 % في مساحة حرة وكلام قوارير وبلغت 13.48 % في مجرد رأي و 8.41 % في حمار الحكيم.

ث_ الكلمات التي طرأ عليها تغيران: جاءت في المرتبة الأولى في عمودي كلام قوارير وشعبان في رمضان بنسبة 21.64 % و 17.7 % على التوالي، وجاءت في المرتبة الثالثة في ثلاثة أعمدة أخرى هي مجرد رأي ونقطة نظام وحمار الحكيم بنسبة 10.6 % و 6.45 % و 7.18 % على التوالي.

ج_ الكلمات التي لم نجد لها أصلاً: جاءت في المرتبة الثانية في عمود خيوط بنسبة 10.86 %، وفي المرتبة الثالثة في عمود مساحة حرة بنسبة 10.6 %، وفي المرتبة الرابعة في عمودي مجرد رأي وحمار الحكيم .

ح_ الكلمات التي لها علاقة بالجذر الفصيحي: جاءت في المرتبة الأولى في عمود نقطة نظام بنسبة 8.06 %، وفي المرتبة الرابعة في أعمدة خيوط بنسبة 6.52 % وكلام قوارير بنسبة 8.24 %، وشعبان في رمضان بنسبة 8.88 %.

لقد سمح لنا البحث اللغوي والتقصي في عناصر هذه المدونة من الوصول إلى مجموعة من النتائج تمثلت في الآتي:

_ تفتح الجرائد من خلال المقالات العمودية مجالاً واسعاً لظهور العامي بمختلف أصنافه، ويكشف تنوعه الكبير والتواتر العالي لبعض الأصناف عن الحرية الكبيرة التي تعطيها الجريدة للصحافي في توظيفه للعامية ألفاظاً وتراكيب.

_ هناك اختلاف واضح بين جريدتي الخبر والشروق اليومي في هذا التوظيف وينطلق هذا الاختلاف من الأعمدة نفسها قبل اللغة لأن الشروق اليومي أعطت لها مجالاً أوسع، فظهرت أنواع متميزة منها اقترب بعضها

من الأشكال الأدبية وحافظ البعض على خصائص الأشكال الصحفية وهي الأنواع التي التزمت بها الخبر، وربما كان هذا الفرق الواضح بين الجريدتين دليلاً ضمنياً على أن الجرائد لا تقف موقفاً واحداً من قضية توظيف العامية إذ يبدو أن الخبر تتحاشى المبالغة فيها عكس الشروق اليومي.

_ في كلتا الجريدتين برزت مجموعة من الكلمات والعبارات التي لا تخفى قوتها الإيحائية لدى المواطن الجزائري مثل: السي (السيد)، الزوالي، المغيون، الحقرة الحرقرة، الله غالب... الخ.

_ رغم أن الصحفي ينطلق في كتابته من العربية الفصحى إلا أنه في توظيفه للعامية لم يهتم بمستوى اللغة، وهذا لا ينم عن ضعف لغته أو عدم حرصه على سلامة اللغة العربية بقدر ما ينم عن رغبته في إيصال رسالة معينة من خلال هذا العامي الذي يشير إلى عاميته بتمييزه بعلامة خاصة كوضعه بين قوسين _ في غالب الأحيان _ هذه الرسالة يفسرها الصحفيون عادة بمجازاة مستوى القارئ أو الاقتراب منه من خلال الكتابة بلغته العفوية أو الحرص على الواقعية في النقل والتصوير.

من جهة أخرى تطرح الكلمات الدخيلة في العامية والتي يلجأ إليها الصحفيون سعياً وراء السرعة والخفة إشكالات أخرى، إذ أن استعمال مختصرات أسماء التنظيمات السياسية باللغة الفرنسية مثلاً يؤثر بشكل واضح على اللغة العربية من خلال تغييب المقابلات العربية فقد لاحظنا أن مصطلحات مثل جبهة القوى الاشتراكية والتجمع من أجل الثقافة والديمقراطية تكاد تصبح مفقودة في لغة الصحافة، كما أن لجوء الصحفي إلى ما هو سهل ومتداول من الكلمات الدخيلة مثل: التابو، الشيك، المترو، والترامواي... الخ دون البحث عن مقابلاتها العربية يجعله بعيداً عن المساهمة في نشر المصطلح العربي وبالتالي بعيداً عن تطوير اللغة العربية رغم أن الصحافة العربية طالما لعبت دوراً كبيراً في هذا المجال.

كما يطرح توظيف الصحفي للعامية إشكالات أخرى تتعلق بالكتابة إذ تختلف كتابة الكلمة الواحدة من صحفي إلى آخر بل أن الصحفي الواحد يكتبها بطريقة مختلفة من مقال إلى آخر فنجد: زوالي وزوالي، سامط وصامط، غلابي وغلابية، وهذا يمس بالذوق اللغوي السليم "فإذا كانت العامية في المستوى المنطوق تمثل وسيلة تداولية آنية متحركة فإن منحها موقع المدون

يُمكن لها في جسم اللغة على نحو يخل بالتساق نظام اللغة المكتوبة^{xviii}، ويتضح هذا الاختلال أكثر حين يتعلق الأمر بكتابة عبارات طويلة من لغات أخرى مثل ، بيري بيان صوصي (عمود خيوط، العدد: 2472) فهي تقضي إلى رسوم كتابية غريبة أو كما يقول نهاد الموسى مضحكة .

لقد اتضح لنا من خلال تناول هذا الموضوع أن قضية توظيف العامية في الصحافة المكتوبة لها أبعاد كثيرة تستحق دراسة أعمق فهي تشكل مجالا خصبا للبحث اللغوي في العديد من فروع مثل اللسانيات الاجتماعية، فقد يسمح لنا استغلال مناهجها وبحوثها في مجال الصحافة بإضافة شيء جديد إلى حقل الدراسات اللغوية من صلب الممارسات اللغوية الجزائرية التي تحمل في طياتها مظاهر غنية بالتنوع والخصوصية.

الهوامش:

- ⁱ _ مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة كتب المستقبل العربي (55)، اللسان العربي وإشكالية التلقي، بيروت 2007، ص: 51.
- ⁱⁱ _ نهاد الموسى، الثنائيات في اللغة العربية من عصر النهضة إلى عصر العولمة، دار الشروق للنشر والتوزيع الأردن، ط1، 2003، ص: 25.
- ⁱⁱⁱ _ محمود تيمور، العامية... الفصحى، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مطبعة الكيلاني الصغير، القاهرة ج: 13، ص: 133.
- ^{iv} _ الطيب البكوش، إشكاليات الفصحى والدارجات، ضمن كتاب: من قضايا اللغة العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم تونس، 1990، ص: 185، 186.
- ^v _ محمد صالح الجابري، الفصحى وعامياتها، أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، ط1، 2008، ص: 33.
- ^{vi} _ نهاد الموسى، الفصحى وعامياتها، ندوة الفصحى وعامياتها، ص: 50.
- ^{vii} _ وليد العناتي، اللغة العربية وأسئلة العصر، عيسى بروهومة، دار الشروق، عمان، ط1، 2007، ص: 155.
- ^{viii} _ رياض زكي قاسم، اللغة والإعلام: بحث في العلاقات التبادلية، ضمن: اللسان العربي وإشكالية التلقي ص: 135.
- ⁹ _ المرجع نفسه، ص: 135.
- ¹⁰ - عز الدين ميهوني، صحافتنا وتعليم اللغة، ضمن: دور وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية وترقيتها، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2004، ص: 44.
- ¹¹ _ المرجع نفسه، ص: 34 _ 35.

- 12 _ قادري حسين، دور وسائل الإعلام في انتشار اللغة العربية في الجزائر، ضمن: " وسائل الإعلام في نشر اللغة العربية و ترقيتها، ص: 73.
- 13 _ إبراهيم درديري، لغة الإعلام اليوم بين الالتزام والتفريط، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط1، 1981
- ص: 7 _ 8
- 14 _ يعرف فاروق بوزيد المقال العمودي بأنه " مساحة محدودة من الصحيفة لا تزيد عن "نهر" أو "عمود" تضعه الصحيفة تحت تصرف أحد كبار الكتاب بها ، يعبر من خلاله عما يراه من آراء أو أفكار أو خواطر أو انطباعات فيما يراه من قضايا وموضوعات ومشاكل ... وبالأسلوب الذي يرتضيه، و غالبا ما يحتل العمود الصحفي مكانا ثابتا لا يتغير على إحدى صفحات الجريدة و ينشر تحت عنوان ثابت و يظهر في موعد ثابت قد يكون كل يوم أو كل أسبوع " فن الكتابة الصحفية ، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الشروق، الجزائر ، 1985، ص : 188.
- 15 - حسين بن زروق، العامية الجزائرية وأصولها الفصيحة، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، الجزائر 2005-2006، ص : 219.
- 16 _ المرجع نفسه، ص: 290.
- 17 _ الطيب البكوش، إشكاليات الفصحى والعاميات ، ضمن: من قضايا اللغة العربية المعاصرة، ص: 202.
- 18 _ نهاد الموسى، اللغة العربية في العصر الحديث: قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق، عمان، ط1، 2007 ص: 144 .